حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث والاستماع والقراءة والكتابة

د.صحراوي غريب

جامعة آكلي محند – البويرة – الجزائر

ملخص:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن مما كانت تفخر به جزيرة العرب على سائر الأمم هو اللّسان العربي المبين، فاللّسان العربي في جزيرة العرب أتخذ حتّى أداة لكسب المال، والشهرة وحلّ الأمور المستعصية، ليس هذا فقط بل كان للحرب نصيب من روعة اللّسان وبلاغته، ومع ما وصلت إليه العرب من طلاقة في اللّسان، ومع أنّ نزول القرآن كان بلسانها إلا أنه جاء بأسلوب مغاير تماما فلا هو شعر ولا هو نثر، إلا أن اتصاله باللسان العربي أمر أكيد، وقد أكدّ ابن خلدون على قوة العلاقة بين جودة الحفظ وملكة اللّسان، إذا كان الأمر كذلك فما هي جوانب الملَكَة التي يمكن أن يُحَصِّلها حافظ القرآن الكريم؟ و ما مدى تأثرها بحفظ القرآن الكريم ودارسته ؟

محاور البحث:

وللإجابة عن الإشكال المطروح ضمّنت موضوع البحث المحاور التي تخدمه مبتدئا ببيان دعوة الإسلام إلى ضرورة حفظ القرآن الكريم.

1 ـ دعوة الإسلام لحفظ القرآن الكريم و دارسته.

2 ـ حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الاستماع.

3 ـ حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث.

4 ـ أثر حفظ القرآن في تنمية ملكة القراءة والكتابة.

المنارة للاستشارات

Abstract:

In the name of god and peace be upon his messenger.

One of the most things that the Arab island was known with and used to be proud of in front of all other nations was the Arabic tongue. It was even used to gain money and fame, and solve difficult issues. In addition, Arabic was also used to describe wars. The Arabs were so fluent in Arabic besides that the "Quran" came in the Arabic language, but it came in a very different style because it was neither poem non prose . "Ibn khaldoun" confirmed that there is a strong relation between good memorization and language competence.

If it is so, what are the abilities that "Quran's memorizers" can obtain from that? And to what extent they can be influenced by memorizing "Quran" and studying It?

Research's parts:

1/ Islam's call for studying and memorizing Quran.

2/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of lisstenting

competence .

3/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of speaking competence.

4/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of reading and writing competence.

تقـــــدّيم:

الحمد لله أنزل الفرقان خلق الإنسان فعلّمه البيان، والصلاة والسلام على النبي الأميّ العـدنان، الــذي أفرغ الله العلم في قلبه إفراغا وخصّه بتنزّل القرآن، فأوتي جوامع الكلم ، ونطق فأعــرب ببيان وبعد:

فإن مما كانت تفخر به جزيرة العرب على سائر الأمم هو اللّسان العربي المبين إذ جمع بين الشعر البليغ والنثر البديع، والأسلوب القصصي الرائع، والفن الخطابي المؤثر الذي يهزّ المشاعر والوجدان، فاللّسان العربي في جــزيرة العــرب أتخذ حتّى أداة ـ نتيجة حلاوة الكلام وطلاوة البناء ـ لكسب المال، والشهرة وحلّ حتّى الأمـور المستعصية، ليس هذا فقط بل كان للحرب نصيب من روعة اللّسان وبلاغته، فكان لشعراء القبائل مكانة مهمّة وخطيرة في تحريض قلوب المحاربين على القتال لما يملكه الشـــاعر من قوة ساحرة يؤثر بها على نفوس المقاتلين، فيبعث الشجاعة في قلوب، ويحبط الهمم لدى آخـــرين، فاتّحد السّنان واللّسان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم في قوله لحسان بن ثابت رضي الله عنه: "اهـــجهم وروح القـــدس معك" [1].

ومع ما وصلت إليه العرب من طلاقة في اللّسان وقوة في البيان، ومع أنّ نزول القــرآن كان بلسانها إلا أنه جاء في ثوب غير تلك الأثواب، وفي صــورة غير تلك الصّور، فكان نسيج وحده، وصـورة ذاته، فلا هو شعر، ولا هو نثر، ولا

[1] انظر محمود أبو الفضل الألوسي . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ج1ص317 . طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

المنارة للاستشارات

هو سجع، بل ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ ﴾ ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢ ﴾ [1]، شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، أكّد ذلك الوليد بن المغيرة في نادي البـــــلاغة، نادي قريش فكان ممّا قال لمّا سمع القرآن من فَي رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" .. والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمُثمر أعلاه مُغدق أسفله ، وإنّه ليعلو وما يعلى، وإنّه ليحطم ما تحته "[2] تحدّى الله به العرب فأعجزهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سـور من مثله، بله سـورة واحـدة قال الله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾[3]، فهو مأدبة الله، وحريّ بكل مؤمن، بله عالم أن يتعلّم من مأدبته ما استطاع، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي . صلى الله عليه وسلّم . قال: " إنّ هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم، وإنّ هذا القرآن هو حبل الله، وهو النّور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوجّ فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه "[4].

---

[1] سورة البروج آية رقم 21، 22.

[2] أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . ج1 ص269 . مصدر الكتاب موقع الإسلام.

[3] سورة الإسراء آية رقم 88.

[4] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين ج1 ص741. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت . سنة 1411هـ، 1990م.

وإذا كان حفظ القرآن هو الأساس الأول من أسس التعليم، وهو مسلك لابدّ منه في تحصيل المعارف وإتقان العلوم ـ **الشرعية على وجه الخصوص** ـ فإن اتصاله باللسان العربي آكد، وقد أكدّ **ابن خلدون** على قوة العلاقة بين جودة الحفظ وملكة اللّسان فقال: " إنه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ "[1]، فكيف إذا كان المحفوظ كلام من قد أحاط بكل شيء علما، وأحـاط بالكلام كله علما.

إذا كان الأمر كذلك فما هي جوانب الملكة التي يمكن أن يحصلها حافظ القرآن الكريم؟ وما مدى تأثرها بحفظ القرآن الكريم ومـدارسته؟.

وللإجابة عن الإشـكال المطـروح ضمّنت موضـوع البحث المحـاور التي تخدمه مبتدئا بإبراز دعوة الإسلام إلى ضرورة حفظ القرآن الكريم.

المبحث الأول: دعوة الإسلام لحفظ القرآن الكريم و مدارسته

يعد الحفظ من حيث الأصل أحد الركائز الكبرى لرسوخ القدم في العلم، وتعد الذاكرة القوية ميزة طلبة العلم بله العلماء، ومن استقرأ السيّر الذاتية للعلماء الأعلام أدرك أن من أهم أسباب ارتقائهم وعلو كعبهم و بلوغهم الدرجات العلا في مختلف

[1] عبد الرحمن بن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ ص656ـ 658 ـ طبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت.

المنارة للاستشارات

التخصصات قوة الحافظة لديهم، وكثرة الاعتناء بالحفظ حتى جعلوه دربة لهم، وقد اشتهر عن **الإمام الشافعي**[1] قوله:

علمي معي حيثما يممـــت ينفعني قلبي وعـــاء لـه لا بطن صنـــدوق

إن كنت في البيت كان العلم معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

ولقد اعتبر العلماء قوة الحافظة هبة من الله يعطيها أولياءه على وجه الخصوص، ولقد ذكر **الإمام الشافعي** . رحمه الله . أن عينه وقعت على معصية فضاع منه من العلم ما ضاع، وهو ما جعله يرتجز قائلا:

شكوت إلى وكيع سوء حفظـي فأرشـــدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نـــور ونور الله لا يهـــــدى لعاصي[2].

وقد شكى الصّحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي لرسول الله كثرة نسيانه فدعا له رسول الله . صلى الله عليه وسلم . روى البخاري عنه . رضي الله عنه . أنه قال: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه، قال: **(أبسط رداءك)**، فبسطه فغرف بيديه ثم قال: **(ضمّه)**، فضممته فما نسيت شيئا بعده[3].

---

[1] محمد بن إدريس الشافعي – ديوان الشافعي . ص94 . تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي . طبعة الشركة التجارية . مكة المكرمة . سنة 1409هـ ، 1988م.

[2] المرجع نفسه – ص.95

[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري– ج1 ص56 . تحقيق مصطفى ديب البغا . الطبعة الثالثة . دار ابن كثير اليمامة . بيروت . سنة . 1407هـ ، 1987م.

ولقد كان العلماء من السلف يحثون طلابهم و تلاميذهم على ضرورة الحفظ في نيل العلوم وإدراكها ولما قصرت الهمم دون ذلك جمعوا لهم أصول المعارف والعلوم في مختلف التخصصات والفنون على شكل منظومات ومتون قصد الحفظ والاستظهار، ثم توضع عليها الشروح والحواشي، حتى تفهم المسائل التي سجلها الطالب في الذاكرة كأنه يراها رأي العين ليكون ذلك أدعى للفهم وأوفر للعقل وعـونا على الطـلب[1]، وقد تردد قديما على ألسنة أهل العلم **من حفظ المتـون حـاز الفنـون**، ولما تقاصر طلبة العلم عن الحفظ سار العلماء إلى تقييد العلوم بالكتابة و لذلك قيل[2]:

العلـم صيـد والكتـابة قيـد قيد صيـدك بالحـبال الواثقة

فمن الحمـاقة أن تصـيد غزالة وتتركهـا بلا قيـود طـالقة

ومن غريب القول وعجيبه أن يرمي العجزة في هذا الزمان من جمع الفنون حفظا بالجمود كونه لا يعدوا أن يكون نسخا أخرى مما حفظ دون فهم وإدراك، وهل الحفظ إلا عون على الفهم والإدراك، وقد أثبت العلم أن ذاكرة الإنسان عضلة من عضلاته تقوى بالتدريب والتمرين، وتضعف وتهزل بترك ذلك، وكلما كثر الحفظ

[1] انظر عبد الله سلمي – أثر حفظ القرآن في تنمية المهارات اللغوية . ص5 ـ مقال نشر بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى.

[2] الشافعي ـ مرجع سابق ص.96

المنارة للاستشارات

اتسعت الذاكرة، ولقد جاء في الأثر: كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع[1].

هذا وأعظم النصوص وأقدسها النص القرآني، وهو أولى بالحفظ من غيره، يسره الله لذلك، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[2]. وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه في الصدور والسطور فيتعبد بتلاوته غيبا، أنزله على قلب سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وتكفل بحفظه من الضياع والنقص والتحريف، يحقق هذا المعنى ما جاء في الذكر الحكيم من قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴿٩﴾﴾[3]. وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) في بداية أمره يخشى أن يتفلّت منه القرآن، فكان يحرك به لسانه فطمأنه الله عزّ وجلّ بأنه مجموع في صدره، وصدور الذين أوتوا العلم، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، جاء عن **ابن كثير** ما ملخصه: " هذا تعليم من الله تعالى لنبيه . صلى الله عليه وسلم . في كيفية تلقي الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك

---

[1] أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة . ج19 ص25 . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي وشركاه.

[2] سورة القمر. آية رقم 17.

[3] سورة الحجر . آية رقم .09

[4] سورة القيامة . آية رقم 16، 17.

في قراءته"[1]، جاء عن **ابن عباس** ـ رضي الله عنهما: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفتيه يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلّت منه شيء أو من شدة رغبته في حفظه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات "[2]. وكان سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدارسه جبريل عليه السلام القرآن الكريم في كل سنة مرة من شهر رمضان وفي آخر سنة من عمره صلى الله عليه وسلم دارسه جبريل القرآن مرتين من نفس الشهر عناية منه بهذا الكتاب الشريف القدر والمكانة " [3]. وقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحث أصحابه على حفظ القرآن الكـــريم ويحدد لهم المراجع في ذلك جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول "اقرؤوا القرآن من أربعة نفر من ابن أم عبد . فبدأ به . ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل"[4] وكان يمتدح من يتغنى به فعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صـــلى الله عليه و ســـلم ـ قال له: " لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البـــارحة لقد

---

[1] أبو الفدا إسماعيل بن كثير ـ تفسير القرآن العظيم . ج8 ص304 ـ الطبعة الأولى دار ابن حزم ـ بيروت لبنان ـ سنة 1423هـ ، 2002م.

[2] بدر الدين العيني . عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ـ ج36 ص219 ـ مصدر الكتاب ـ ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث.

[3] جاء في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قالت: "أسر إلي – تعني أباها حدثها سرا – فقال لها: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة و إنه عارضني العام مرتين و لا أرى الأجل إلا قد اقترب" ـ انظر البخاري ـ الجامع الصحيح المختصر ـ ج3 ص1326.

[4] محمد بن حبان ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابت بلبان ـ ج3 ص11 ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المنارة للاستشارات

أوتيت مزمارا من مزامير آل داود "[1]، وكان يفاضل بينهم في ضبط القراءة وتجويدها، روى **الترمذي** و**ابن ماجة** عنه ـ صلى الله عليه و سلم ـ في حديث يعدد فيه فضائل الصحابة ومنه " وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب " [2]. وقد كان الصحابة في مستوى هذا التوجيه فهما ووعيا وعملا وسلوكا فاستمروا على ذلك حفظا وتعلما، وتواتر النقل عنهم جيلا بعد جيل. وقد جعل الله الأفضلية العامة والخيرية المطلقة لمن تعلم القرآن وعلمه فكان حلقة ربط في سلسلة النقل المتواتر، قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن و علمه" [3]، وقد ركز **ابن خلدون** ـ رحمه الله ـ على تعليم الناشئة حفظ القرآن الكريم وأهميته في بناء المعارف وتثبيت العقائد فقال: " اعلم أن تعلم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الله ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان .. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده لأن

---

[1] البخاري ـ الجامع الصحيح ـ باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ـ ج4 ص1925، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ـ الجامع الصحيح صحيح مسلم ـ ج2 ص193 ـ طبعة دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة بيروت.

[2] الحاكم ـ المستدرك ـ ذكر مناقب زيد بن ثابت كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ـ ج3 ص477.

[3] البخاري ـ الجامع الصحيح ـ ج15 ص438.

السّابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه "[1].

فالقرآن الكريم هو الأساس لكل الملكات، وهو المقدم في الحفظ والتعلم وما بعده يعد بمنزلة التابع، فبحفظ القرآن يوجه **ابن الجوزي** ـ رحمه الله ـ طالب العلم، فيقول:" لينظر ما يحفظ من العلم فإن العمر عزيز والعلم عزيز وإن أقواما يصرفون الزمان إلى حفظ ما غيره أولى منه وإن كان كل العلوم حسنا ولكن الأولى تقديم الأهم و الأفضل، وأفضل ما تشغل به حفظ القرآن ثم الفقه وما بعد هذا بمنزلة تابع "[2]، ويؤكد الأمر ذاته شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله جاء عنه في التركيز على أولوية حفظ القرآن الكريم: "وأما طلب حفظ القرآن فهو مقدم على كثير مما يسميه الناس علما وهو إما باطل أو قليل النفع، وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات بأن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصـــل علوم الدين"[3].

هذا ويعد التلقّي و السّماع عن المشايخ المتقنين من أنجع طرق تعلم القرآن الكريم، وهو ما كان عليه السلف، وهو حال الحفظ في كثير من الزوايا والكتاتيب بأرضنا، وفي كثير من البلاد الإسلامية ليجمع الحافظ بين جودة السمـاع وســـداد الكتابة وصوابها.

---

[1] ابن خلدون ـ مرجع سابق ـ ص 614.

[2] ابن جوزي – صيد الخاطر – باب فصل بين الخطأ و التوبة ـ ص313.

[3] أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ الفتاوى الكبرى ـ ج1 ص195 ـ الطبعة الأولى ـ دار المعرفة بيروت ـ سنة 1409هـ، 1988م.

المنارة للاستشارات

وقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم مشافهة عن رسول الله صلى عليه وسلم، جاء عن **ابن مسعود** رضي الله عنه: " أخذت من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين صورة "[1]، ومن الذين أتقنوا حفظ القرآن مشافهة عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ عنهم فقال: "خذوا القرآن عن أربعة نفر من ابن أم عبد – فبدأ به – ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة و من معاذ بن جبل"[2].

وأخذ عن هؤلاء من الصحابة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهم ـ وعنهم أخذ كبار التابعين.

المبحث الثاني: حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الاستماع:

1ـ تعريف الملكة اللسانية:

جاء في المعجم الوسيط أن الملكة تعني: "صفة راسخة في النفس، أو هي استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة"[3] مثل الملكة العددية والملكة اللغوية، وملكة الخطابة والملكة الشعرية وقد تدل الملكة على الملك والامتلاك، أي ما أستطيعه وأملكه.. وجمع ملكة ملكات، وهو جمع مؤنث سالم،

---

[1] بدر الدين العيني عمدة القارئ . ج29 ص83.

[2] ـ سبق تخـــريجه.

[3] إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين ـ المعجم الوسيط ـ ج2 ص886 ـ تحقيق مجمع اللغة العربية ـ طبعة دار الدعوة.

ومن هنا فالملكة **لغة** هو نوع من الاستعداد **النفسي** والفطري والعقلي لتناول أعمال معينة بحصافة وحنكة ونضج وإبـداع وذكاء ودقة ومهـــارة، وإتقان، وجـــودة، وإدراك، وصنعة، وأما في **الاصطلاح** فالملكة هي ما نحصل عليه بالمران والدربة، والتعلم والصقل والمعاناة والتـكرار، حتى تصبح صفة راسخة في نفس المتكلم يقول الشريف **الجرجاني:**" الملكة هي صفة راسخة فـــي النفس فالنفس تحصل لها هيئة بسبب فعل من الأفعال(...) وتسمى حالة مادامت سريعة الـــزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها، وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملـكة وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا "[1].

فالملكة إذن حالة مستمرة بطيئة راسخة في نفس الإنسان تتبني على أفعال مكررة إلى أن تتحول الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

2- الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

يذهب **ابن خلدون** كذلك إلى أن الملكة هي صفة راسخة في النفس تمكن الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها، فهي هنا في **اللسان** لتمكّنه من أداء العمل العائد إليه، **وهو التعبير عن المعاني**، ويحصل التفاوت في تمام هذه الملكة أو نقصانها، ويقاس بجودة التعبير عن المعاني أو قصوره، أي بإتقـــــان الفن اللساني، جاء عنه: " اعلم أن اللغات ملكات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي

[1] علي بن محمد الجرجاني ـ التعريفات ـ ص296 ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ الطبعة الأولى دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ سنة 1405هـ .

المنارة للاستشارات

ملـــــكات في اللّسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها "[1].

ويؤكد **ابن خلدون** على أن تمام الملكة اللسانية إنما هو بالنظر إلى التراكيب اللغوية لا المفردات، فهي التي تؤدي المعنى المقصود من المتكلم، جاء عنه: " وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملـــكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطـبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع "[2].

ويشير **ابن خلدون** في الأخير إلى أن تمكن هذه الملكة يحصل بقانون التكرار، فيحصل الارتقـــاء بسبب هذا التكرار من الصفة إلى الحال غير الراسخة في النفس إلى الصفة الراسخة، وهو ما يعرف **بالمـــــلكة** يقول **ابن خلدون:**" والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة "[3].

3ـ أثر القرآن في ملكة السّـــــماع:

يعد السمع أحد المستقبلات الهامة التي يترتب عليها أثر الفهم والإدراك في العمل ولذلك اعتبره الشارع الحكيم نعمة كبرى تترتب عليها مسؤوليات عظمى، قال

---

[1] ابن خلدون – مرجع سابق ـ ص 358.

[2] المرجع نفسه ص 358.

[3] المرجع نفسه ص 359.

تعـــــالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ "[1]، قال **ابن كثير** رحمه الله: "أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد، سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعمّا عمل فيها"[2]، ومن معالم الرسالة الكبرى لسيدنا رسول الله ـ صلى اله عليه وسلم ـ تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[3]، ومن مقتضيات التلاوة جودة الاستماع، فحسن الاستماع مهارة ذات قيمة عالية، إذ هي الوسيلة الأولى التي يسلكها المتعلم لتعلم اللغة، وهي طريقة التلقي، والإنسان بطبعه يميل للاستماع، وهو يستمع أكثر مما يتكلم، وجودة الاستماع تحقق قوة الإدراك، وفهم المسموع والتفاعل معه، وهو ما حصل لأبي الوليد لما قرأ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) صدر سورة **فصلت** إذ أخذ بمجامع سمعه، فما كان من الرجل إلا أن قال لقومه: " والله إنّ لكلامه لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أسفله لمغدق، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه "[4].

يقول الدكتور **احمد فؤاد عليان**: " الاستماع ليس عملية سهلة فهو لا يقتصر على استقبال الصوت المسموع وإدراك معاني الكلمات والجمل فحسب، بل يتطلب فوق هذا الاندماج الكامل بين المتكلم والمستمع، كما يحتاج من المستمع إلى بذل

---

[1] سورة الإسراء آية رقم 36.

[2] ابن كثير ـ مرجع سابق– ج3 ص171.

[3] سورة البقرة ـ آية رقم 129.

[4] أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ـ الصواعق المرسلة ـ ج1ص240 ـ تحقيق علي بن محمد الدخيل ـ الطبعة الثالثة دار العاصمة الرياض ـ سنة 1418هـ ، 1998م.

المنارة للاستشارات

الجهد الذهني حتى يستخلص المعلومات ويحللها وينقدها، فالاستماع أداء كامل يتطلب استخدام حواس البصر والسمع والعقل في متابعة المتكلم وفهم معنى ما يتكلم، وتحديد أفكاره واسترجاعها، وإجراء عملية ربط بين الأفكار المتعددة "[1]، كل ذلك دفع بالمعاندين من كفار قريش إلى التواصي على عدم السمّاع إلى القرآن والاشتغال باللغو للصدود عن التلاوة خشية التأثر بسماع القرآن وإدراك المنهج الحق قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ ٢٦"[2].

قال **ابن كثير** رحمه الله: " أي إذا تلي لا تستمعوا له، كما قال مجاهد **(وألغوا فيه)** يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قرأ القرآن قريش تفعله "[3].

إذن وظيفة الاستماع تعتمد أساسا على الإنصات إلى الشيء المنطوق ومحاولة فهمه وإدراك معناه وبيان مراده، ولخطورة الإنصات وقوة أثره أمر سبحانه وتعالى المؤمنين على عكس صنيع الكفار أن ينصتوا لتلاوة القرآن وألّا يتشاغلوا عن تلاوته، وربط المولى جلا وعلا تحقيق الرحمة بقوة الإنصات والأخذ بمجامع السمع فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ

---

[1] د. أحمد فؤاد ـ المهارات اللغوية ـ ص 50 ـ الطبعة الأولى– دار العلم– الرياض 1413هـ.

[2] سورة فصلت آية رقم 26.

[3] ابن كثير ـ مرجع سابق ـ ج4 ص2548.

تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ ٢٠٤ "[1]. وإذا قرن حسن الاستماع مع حسن وجودة المسموع حصل الانتفاع، وفي ذلك أخبر ربنا جلّ وعـــلا عن نفر من الجن لما استمعوا إلى القرآن من فيْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عودته من الطائف وفهموا المنهج الحق الذي جاء به تمكنت الهداية من قلوبهم قال تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ ﴾١ "[2].

4 ـ بيان ملكات الاستماع التي تتأثر بحفظ القرآن:

عرّف المختصون: الاستماع على أنّه عملية عقلية تتطلب جهدا يبذله المستمع في متابعة المتكلم وفهم معنى ما يقوله[3]، وقيل هو:" عملية عقلية إيجابية مقصودة "[4]، فالاستماع إذن عملية مكتسبة تقتضي الفهم والإدراك والتـحليل، حيث يستقبل فيها المـستمع المـادة الصـوتية محاولا فهمها وتحليلها ونقدها لتحسين ملكات التواصـل. ولكون حفظ القـرآن الكريم غالبا ما يكون عن طريق التلقي، أي السّماع الصوتي، فإنّه يغرس في نفس حـافظه عدة ملكات أبرزها:

أ ـ **ملكة إدراك هدف المتحدث ومقصوده:** وهي ملكة يدركها من جمع القرآن حفظا بسهـــولة لأن القرآن الكريم قد بلغ الغاية في البيان والإعجاز في البلاغة، إذ يدرك

---

[1] سورة الأعراف ـ آية رقم 204.

[2] ســورة الجن ـ آية رقم 01.

[3] انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ـ تعريف الاستماع والإنصات ـ ج4 ص3979.

[4] المرجع نفسه ج4 ص 3979.

المنارة للاستشارات

قارئ آياته الهدف منها، ولم يزد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يغير النفوس ويخاطب العقول والقلوب على تلاوة القرآن الكـــــــريم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ۝٢ ﴾ [1]، بل يتعدى هذا الإدراك إلى التأثير في النفوس، والشيء إذا تكرر تقرر، وحافظ القرآن يكتسب مهارة تكرار القراءة يتـــــردد ذلك معه في جميع سور القرآن، فيمتلك الدربة على إدراك الغاية من كل كلام يسمعه ويحاول فهم معنى تراكيب ألفاظه، وفي القرآن الكريم نقرأ: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٧ ﴾[2] قال **ابن الكثير** ـ رحمه الله: " قال **السّدي**: يسرنا تلاوته على الألسن ...(فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ)، أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه. وقال **محمد بن كعب القرضي**: فهل من منزجر عن المعاصي؟، وجاء عن **ابن أبي حاتم** هل من طالب علم فيعان عليه؟"[3] وكل ذلك مرتبط بادراك وفهم معاني التراكيب اللغوية لآي القرآن الكريم، فحافظ القرآن الكريم يتمرن على فهم معاني التراكيب اللغوية حتى تكون لديه ملكة في فهم كل سياق لغوي بمجرد الاستماع إليه.

ب- ملكة تذوق الكلام الـــــرّاقي العـذب: من يحفظ القرآن ويتعهد تلاوته تتأثر نفسه بحال الأسلوب القرآني وقوة فصاحته وروعة بلاغته ما يجعله يمايز بينه وبين غيره من الأساليب، ولو كانت أحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي

---

[1] سورة الجمعة ـ آية رقم 02.

[2] سورة القمر ـ آية رقم ـ 17،22،32،40.

[3] ابن كثير ـ مرجع سابق ـ ج 4 ص2759.

أوتي جوامع الكلم، ولا يشترط في من يتذوق بلاغة الأسلوب القرآني أن يدرك معـــرفة ما فيه من تشبيهات بليغة واستعاراته وكناياته، ومجازاته وأوجه التقديم والتأخير، وكل بديع فيه... الخ

جمال أسلوب القرآن الكريم وقوة تأثيره في النفس والانفعالات اللاإرادية التي تحصل للمستمع ســـواء كانت بالرضا والفرح والسرور والارتياح، أم كانت بالخوف والرجاء و...هو الذي دفع بأبي الوليد لأن يضع يده على فيْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناشده التوقف عن قراءة القرآن الكريم لما استمع إلى بداية سورة فصلت: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾[1]. ذكر وقع هذا السياق البلاغي العجيب، والنغم الموسيقي لهذه الآيات التي فصّلت **(فصلت آياته)**، أي: "ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال، ومواعظ ووعد ووعيد، وغير ذلك وقرئ فصلت، أي: فرقت بين الحق والباطل "[2]. يقول **الزمخشري**:" الأكنة جمع كنان، وهو الغطاء، والوقر (بالفتح) الثقل وقرئ بالكسر. وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبّل الحق

[1] سورة فصلت ـ آية رقم 1،2، 3، 4، 5.

[2] الزمخشري – الكشاف ج4 ص 179،180 – الطبعة الخامسة – دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 2009م.

المنارة للاستشارات

واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها"[1]. هذا الأسلوب الفريد هو الذي دفع **بأبي الوليد** لأن ينفي كون القرآن سحرا أو شعرا قائلا: " والله ما هو بالشعر ولا بالنثر، ولا يشبه كلام البشر"[2]. وقد أكد هذا الكلام الدكتور **إبراهيم الشافعي** في قوله: " إن الرجل العامي لا يعرف كناية ولا مجازا ولا استعارة بالمعنى الاصطلاحي، لكنه يتذوق ويتأثر، وينفعل بانفعالات الرضا والسرور، والحزن والخوف، والرجاء والأمل، وما إلى ذلك من أحاسيس ومشاعر "[3].

ت- ملكة تذكر المعلومات وتسلسل الأحداث في وحدة موضوعية: حفظة القرآن الكريم هم أكثر الناس امتلاكا لهذه الملكة، لأن حفظ القرآن ينمّي ملكة التذكر وقوة الاحتفاظ، بما يسمح للعلاقة الطردية بين قوة الحافظة أو الذاكرة، وحفظ القرآن الكريم لأن حفظ القرآن الكريم يتطلب استمرارية تكرار الآيات المقررة للحفظ، وفي هذا الشأن يقال: ليس بينه وبين حفظه إلا الرياضة بفكه، وقد أثبتت الدراسات أن هذا التكرار له اثر ايجابي في تنشيط وتقوية عمل الذاكرة، ولأن حفظ القرآن يتطلب حفظ الألفاظ عن ظهر قلب دون تغيير أو تبديل مما يساعد على تنمية ملكة تذكر المعلومات بصورة مرتبة ومتسلسلة، يؤكد هذا تفوّق الحافظين

---

[1] المرجع نفسه ـ ج4 ص180.

[2] ابن القيم ـ مرجع سابق ـ ج01 ص240.

[3] إبراهيم محمد الشافعي ـ التربية الإسلامية وطرق تدريسها – ص140 ـ الطبعة الأولى مكتبة الفلاح ـ بيروت ـ سنة 1401هـ، 1980م.

والحافظات للقـرآن الكريم في الدراسة على جميع المستويات ونيلهم الرتب الأولى[1].

المبحث الثالث: حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث

البداية ينبغي للمتحدث أن يكون ذا مهارة في إيصال ما لديه إلى الآخرين ليحدث تأثيرا في نفوسهم حتى تتغير إلى ما يريد، بحيث يتم الكلام وفق نظام محدد بخطوات متسلسلة تبدأ بالاستشارة الداخلية فالتأثير الخارجي الذي يدعو المتحدث لإنشاء كلامه، ويليه التفكير في المعاني التي يسعى إلى الإفصاح عنها وإبانتها في قالب لفظي، يقتضي ذلك صياغة الألفاظ التي تدل على تلك المعاني بإتقان تامّ لتكون الخطوة الأخيرة، والمتمثلة في الأداء لصوتي لتراكيب الألفاظ التي استقرت في ذهن المتحدث، وكـــــل ما سبق يتم في سرعة وتلقائية دون الشعور بفواصل بين هذه الخطوات.

ولحفظ القرآن الكريم وتلاوته والاستماع إليه أثر بالغ في محاكاة أسلوبه إنشاءً، فالذي يحفظ القرآن يتأثر بأسلوبه وبيانه فينطبع به، وتستقر في نفسه عظمة القرآن، فينعكس على أسلوبه إيجابيا، فيكون شـديد الحرص حين يحدّث الناس أن يؤثر فيهم، ويتحتّم عليه أن يجتهد في اصطفاء أفضل الألفاظ لأفضـــــل المعاني، ويستقي ذلك كله من القرآن، ومن تأثر بشيء حاكاه حتى يصبح ذلك لديه ملـــــكه، يقول الدكتور **محمد صالح الشنطي:** " ويقصد بمهارة

[1] أ. فايزة جميل محمد– أثر حفظ القرآن في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي ـ ص280 ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ ستة 1421هـ، 1422هـ.

المنارة للاستشارات

التحدث مهارة نقل المعتقدات والأحاسيس، والاتجاهات والمعاني، والأفكار والأحداث في طلاقة وانسياب مع صحة في التعبير و سلامة في الأداء "[1]، والحافظ للقرآن يجمع بين جودة السماع وسلامة النطق، وهو ما يميزه عن غيره، وقد أكد **ابن خلدون** ـ رحمه الله ـ بأن العربية الفصحى ملكة كانت تكتسب بالسماع ولا يحتاج أن يتعلمها على يد معلم.[2]

وكان يقال على لسان **العربي:** ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن عربي أقول فأعرب.

وليست هذه الملكة متاحة لكل الناس وفي الحديث: " إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار "[3]. ففي الحديث نهي عن تلبس الباطل بالحق الذي يورث المظالم (ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته عن بعض)، أي أفصح وأقوى كلاما، ويقال فلان حجيج وفلان ذو جدل يقوى على غيره في الحجة، وفي القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى

---

[1] المهارات اللغوي، د. محمد صلاح الشنطي، ص 194 ـ الطبعة الخامسة دار الأندلس ـ سنة 1424هـ، 2003م.

[2] ابن خلدون ـ مرجع سابق ـ ص554.

[3] أبو عبد الله الشيباني ـ مسند أحمد بن حنبل ـ باب مسند أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ج2 ص332 ـ طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾[1]، ففي قوله: (وعزني في الخطاب) " وغلبني، يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به "[2].

1- ملكات التحدث التي تتأثر بالقرآن الكريم.

أ- معرفة مخارج الحروف وصفاتها: أكثر من يحقق مخارج الحروف من مخارجها ويَسْلم نطقه بضبط صفاتها هم الذين يتلقون القرآن سماعا عن أهله، ويضبطونه وفق أحكام تجويده، ذلك لأن حفظ القرآن سنة متبعة يأخذها التلميذ عن الشيخ المتقن الذي يحرص كل الحرص عند إسماع القرآن على تحقيق مخارج الحروف وصفاتها، ولا يقبل من قارئ القرآن أن يقصر عن ذلك.

كل ذلك يورّث ملكة الإتقان الصوتي لحافظ القران الكريم فهو أتقن المتحدثين صوتا، وأفضلهم معرفة وتطبيقا لمخارج الحروف[3].

وقد ذهب علماؤنا إلى أن من عجائب حفظ القرآن الكريم أن من حفظه عن ظهر قلب امتاز عن غيره بمزايا وفضائل كثيرة منها، اكتساب ملكة اللسان ونماء مهارات اللغة لديه، كاستقامة اللسان وإخراج الأصوات من مخارجها وحسن الأداء الصوتين وزيادة الثروة اللغوية، وإتقان جوانب الإلقاء وغيرها.

ب ـ جريان اللسان على ضبط النحو و التصرف: الخطأ في ضبط الكلمة يؤذي إلى فساد المعنى المراد فالحلم بضم الحاء يختلف عن معناه حالة كسرها

---

[1] سورة ص ـ آية رقم 23.

[2] الزمخشري ـ مرجع سابق ـ ج4 ص80.

[3] د. أحمد فؤاد عليان ـ مرجع سابق ـ ص 96-99.

المنارة للاستشارات

ولربما استحال الفاعل مفعولا فتغير المعنى المراد، وتصور معي من يقرأ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [1] لفظ الجلالة بالرفع، أو من يقرأ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴿٣﴾﴾ [2] رسوله بالكسر بدل الضم. هذا وإتقان حفاظ القرآن الكريم لهذه المهارة أمر ظاهر، والشواهد الحيّة تثبته، فهو الذي (القرآن) يكسب هذه الملكة حتى تكون بديهية عند المتحدث، يقول **ابن خلدون:** " وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات "[3].

ت- ملكة استخـــدام الثروة اللغوية: الذي أجمع عليه أهل اللغة أن حفظ القرآن يزيد من الثروة اللفظية، فالذي يتلو القرآن الكريم يفيد من ألفاظه وأساليبه، والذي يجالس حفظة القرآن الكريم يسمع على ألسنتهم كثيرا من ألفاظ القرآن، وجمله بل وأساليبه، وذلك مثل قولهم: " صم بكم " تعبيرا عن عدم الاستجابة، وقولهم: " لا يسمن ولا يغني من جوع " استهانة بالأمر، ومثل ذلك كثير.

ث- ملكة مطابقة الكـلام لمقتضى الحال: اتفقت تعريفات علماء اللغة للبلاغة بأنها **مطابقة للكلام لمقتضى الحال مع جودته وفصاحته** وفي هذا المعنى يقول **الجاحظ:**" ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من

---

[1] سورة فاطر ـ آية رقم 28.

[2] سورة التوبة ـ آية رقم 03.

[3] ابن خلدون – مرجع سابق – ص614.

الأسماء "[1] ولاشك في أن أرفع كلام وأبلغ حديث هو القرآن الكريم، إذ الفرق بينه وبين غيره من الكلام كالفرق بين الخالق والمخلوق، والقارئ للقرآن الكريم يجد مقامات متعددة ومتنوعة في آي وسور القرآن، ففيه مقام التعريف ومقام التنكير، ومقام الإطلاق ومقام التقييد، ومقـــام الـــذكر ومقام الحذف .. وتجد في القرآن ذكر القصص، والأخبار السالفة، وذكر الوعد والوعيد، ومقام الجـــلال والجمال، ولكل كلمة أو لفظة مع ما يناسبها مقام، والذي يحفظ القرآن الكريم ويكـــرره يتأثر به في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو الاعتبار المناسب عند علماء البلاغة.

المبحث الرابع: أثر حفظ القرآن في تنمية ملكة القراءة والكتابة

1 ـ تنمية ملـــــكة القراءة:

لا يقتصر مفهوم القراءة على التعرف على الرموز المكتوبة ونطقها، بل يتعدى ذلك إلى التفاعل مع النص تذوقا وفهما وتفسيرا ونقدا، ولذلك يعتبرها الباحثون عملية عقلية تعتمد على بعض المهارات التي تمكن القارئ من التعرف على تراكيب ألفاظها والنطق بها وفهمها، وتعتبر القراءة محور علوم العربية، ولا يستقيم الأمر إلى بها، يقول الدكتور **سليمان العايد:**" فان الأمر لا يستقيم إلا بجعل القراءة محور علوم العربية، وثمرتها التي تسخر جميع الفروع لنيلها وقطفها، وأن تكون المقياس الذي نعرف به مدى استيعاب وإفادة الطالب مما درسه في

[1] الجاحظ – الحيوان ـ ج3 ص39 ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الطبعة الثالثة مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ سنة 1388هـ، 1969م.

المنارة للاستشارات

العربية بمقـــاييس ومعايير يعـــرفها أهل الاختصاص"[1]، ومن أظهر الملكات التي تتأثر بحفظ القرآن الكريم مهارة **القراءة** لأن حفظ القرآن هو قراءة غيبية للنص القرآني مع كثرة تكراره وفق ضوابط علم القراءات، كأحكام الوقف والابتداء، والترقيق والتفخيم، والإدغام والغنة، وتحسين الصوت بالقراءة، ومراعاة إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة وضبط الحركات، فقارئ القرآن يتعود على تعرف الكلمات ونطقها نطقا سليما خاليا من اللحن.

أ- **مهارات القراءة التي تتأثر بحفظ القرآن:** للقراءة مهارات كثيرة بعضها يتقاطع مع مهارة الاستماع كفهم مضمون النص، ومراد المتكلم ومقصود الكلام، وبعضها يتقاطع مع مهارات التعرف، كإتقان الصوت وسلامة النطق.

ومن المهارات التي تنفرد بها القراءة اعتدال الصوت، وتنظيم النفس، وإحسان الوقف والابتداء وحسن الأداء، وتحليل النص المقروء والحكم عليه أو له ونقده وتحليله، كل ذلك يتأثر بحفظ القرآن وكثرة تلاوته.

2- تنمية ملـــكة الكتابة:

عرف علماء اللغة الكتابة بأنها عبارة عن: تحويل الأصوات اللغوية إلى مخطوطة على الـورق أو غيره، متعارف عليها بقصد نقلها إلى الآخرين، بقصد التـــوثيق والحـــفظ وتسهيل نقل المعرفة "[2]، وتعد الكتابة وسيلة من وسائل

---

[1] أ.د سليمان العايد – القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه - ج 3 ص144 - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - سنة 1418هـ، 1997م.

[2] د. محمد صالح الشنطي – مرجع سابق - ص205.

البشر، وأداة لحفظ التراث ونقله، واتصال الحـــاضر بالماضي، وهي وسيلة من وسائل الإبداع بواسطتها ينقل إلينا الأدباء والشعراء عذب القول وجميل القصيد، وقد قسم العلماء الكتابة إلى قسمين هما:

أ- **الكتابة الإبداعية:** وتقوم على كشف الأحاسيس والمشاعر، والعواطف الإنسانية، والابتكار في الأفكار، وتخيل المعاني، وكل ذلك يحتاج إلى ملكة فطرية مركوزة في النفس، فهي تعبر عـــن رؤية شخصية ذات أبعاد شعورية ونفسية وفكرية...وليس كل من خط بالقلم يمكنه أن يبتكر الأساليب أو يبدع في الأفكار.[1]

ب- **الكتابة الوظيفية:** ومجالاتها متعددة ككتابة التقارير، والبحوث والمذكرات الشخصية، والتقارير الإدارية وغيرها من مجالات الحياة [2].

وقد أكد **ابن خلدون** . رحمه الله ـ أثر حفظ القرآن الكريم وتلاوته على الكتابة بما لا يدع مجـــالا للشك، فقال: ".. أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منظومهم ومنثورهم ... فإنا نجد شعر **حسان بن ثابت** و**عمر بن أبي ربيعة** و**الحطيئة**، و**جـــرير** و**الفرزدق** و... ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدرا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر **النابغة** و**عنترة** و**ابن كلثوم** و**علقمة بن عبدة** و**طرفة ابن العبد**، ومن كلام

---

[1] د.أحمد فؤاد عليان – مرجع سابق ـ ص157.

[2] المرجع نفسه ـ ص157.

المنارة للاستشارات

الجاهلية في منظومهم ومحاورتهم... والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، اللّذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما، لكونها ولجت في قلوبهم، ونشأت على أساليبها نفوسهم ...فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصقل رونقا من أولئك "[1].

فيستخدم المتعلم ما حفظ من القرآن الكريم، وفهم من أساليبه، وذلك بأن ينسج كلاما على منوال ما حفظ، فتحصل له الملكة بهذا الحفظ والاستعمال على مر الزمان.

الخاتمة:

جاءت هذه الدراسة لتكشف عن العلاقة القوية بين حفظ القرآن الكريم ومدارسته، وتنمية الملكات اللغوية العامة والجزئية، وقد ثبت الإعجاز والتحدي بأقصر سورة منه على أن يأتوا بشبهها، والعرب وقتئذ هم أرباب اللغة والبيان، فهو الطبقة العالية من الكلام، انعكس حفظه إيجابيا على ملكة القراءة والكتابة والحديث والسماع، وقد أثبتت الدراسات الميدانية التمايز العجيب في هذا بين من لهم صلة بالقرآن ومن انقطعت صلتهم به، وهو ما أثبته **ابن خلدون** وغيره في دراستهم العميقة، وبناء على هذه النتائج نسوق التوصيات التالية:

1- دعم كل المؤسسات المشرفة على تعليم القرآن الكريم رسمية كانت أو غير رسمية.

[1] ابن خلدون ـ مرجع سابق ـ ص555.

2- إعطاء الأولية لوضع مقررات تعليم القرآن الكريم في المدارس الرسمية.

3- وضع مقررات تتضمن حفظ القرآن الكريم في الكليات الشرعية وكليات الأدب، خصوصا أقسام اللغة والدراسات القرآنية.

4- إبراز العلاقة بين حفظ القرآن الكريم في الملكات اللغوية، والعناية بالدراسات التي تناولت الموضوع

5- العناية بالأساتذة المختصين في هذا المجال وطبع بحوثهم ودراساتهم.

والله نسأل أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه الكريم وأن يكون نافعا في بابه.

المنارة للاستشارات

قائمة المصـادر والمـراجع:

القـرآن الكـريم و علومه.

1ـ القرآن الكريم بـرواية حفص عن عاصم.

2 ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ـ الطبعة الأولى ـ دار ابن حزم ـ بيروت لبنان ـ سنة 1423هـ، 2002م.

3 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزّمخشري ـ الطبعة الخامسة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ سنة 2009م.

4 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ محمود أبو الفضل الألوسي ـ طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

الحـديث النّبـوي وعلـومه:

5 ـ الجامع الصحيح المختصر ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق مصطفى ديب البغا ـ الطبعة الثالثة ـ دار ابن كثير اليمامة بيروت ـ سنة 1407هـ، 1987م.

6 ـ الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ـ أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ـ دار الجيل بيروت لبنان.

7 ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ـ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان معاذ بن معبد التميمي ـ مصدر الكتاب ـ مؤسسة الرسالة.

8 ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين العيني الحنفي ـ مصدر الكتاب ـ ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث.

9 ـ المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ـ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة 1411هـ، 1990م.

10 ـ مسند أحمد بن حنبل ـ أبو عبد الله الشيباني ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

11 ـ المعجم الأوسط ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق طارق بن عوض الحسيني ـ طبعة دار الحرمين ـ القـــاهرة.

12 ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام البصري ـ مصدر الكتاب موقع الإسلام.

مـــراجع مخـــتلفة:

13 ـ التربية الإسلامية وطرق تدريسها ـ إبراهيم محمد الشافعي ـ الطبعة الأولى مكتبة الفلاح ـ سنة 1401هـ، 1980م.

14 ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د.علي بن محمد الدخيل ـ الطبعة الثالثة ـ دار العاصمة الرياض ـ سنة 1418هـ، 1998م.

المنارة للاستشارات

15 ـ صيد الخـــاطر ـ ابن الجـــوزي ـ مصدر الكتاب موقع الـــــورّاق.

16 ـ الفتاوى الكبرى ـ أبو العباس تقي الدين أحـــمد بن تيمية ـ الطبعة الأولى دار المعـــرفة ـ بيروت ـ سنة 1409هـ، 1988م.

17 ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد بن خـــلدون ـ طبعة شـــركة دار الأرقـــم بن أبي الأرقم ـ بيروت.

كتـب اللّـغة و المعاجم:

18 ـ أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي ـ أ. فايزة جميل محمد ـ رسالة ماجستير جامعة أم القرى ـ سنة 1421هـ، 1422هـ.

19 ـ التعريفات ـ علي بن محمد بن علي الجرجاني ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ سنة 1405هـ.

20 ـ الحيوان ـ أبو عثمان عمر بن بحر المعروف بالجاحظ ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الطبعة الثالثة ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ سنة 1388هـ، 1969م.

21 ـ ديوان الشافعي ـ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشـــافعي ـ تحقيق يوسف الشيخ محمد البقـاعي ـ طبعة المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة ـ سنة 1409هـ، 1988م.

22 ـ شرح نهج البلاغة ـ أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد ـ تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

23 ـ القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ـ سليمان العايد جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض ـ سنة 1418هـ، 1997م.

24 ـ المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ـ تحقيق مجمع اللغة العربية ـ طبعة دار الدعوة.

25 ـ المهارات اللغوية وطرائق تدريسها ـ د. أحمد فـــــؤاد عليان ـ الطبعة الأولى ـ دار العلم الـــرياض ـ سنة 1413هـ.

26 ـ المهارات اللغوية مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها ـ د. محمد صالح الشنطي الطبعة الخامسة ـ دار الأندلس ـ سنة 1424هـ، 2003م.

المنارة للاستشارات